بقلم القس عبد المسيح زهر

لقد جاء في الكتاب الكريم ان: «ماتت راحيل ودُفنت في طريق افراتة، وهي بيت لحم. ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم.» (تك ٣٥: ١٩—٢٠) وورد في سفر الملوك الاول ايضاً ان صموئيل قال لشاول بن قيس، بعد مسحه اياه قائداً على ميراث الرب: «فاذا فارقتني اليوم يستقبلك رجلان عند قبر راحيل، في تخم بنيامين في صلصح، فيقولان لك قد وُجدت الاتن التي خرجت في طلبها.» (١ ملوك ١٠: ٢) ثم ان ارميا النبي قال: «هكذا قال الرب: صوت سُمع بالرامة، ندب وبكاء مر؛ راحيل تبكي على بنيها وقد ابت ان تتعزّى عن بنيها، لانهم ليسوا في الوجود.» (ار ٣١: ١٥)

على ان الاعتقاد بين اليهود والمسيحيين ما زال شائعاً على توالي الاجيال ان راحيل مدفونة على مقربة من بيت لحم، في الموضع المعروف «بقبر راحيل» على سبعة كيلومترات الى جنوبي اورشليم، وكيلومترين الى شمالي بيت لحم، من عن يمين الطريق الذاهب الى الخليل، قبل مفرق طريق بيت لحم ببضع مئات من الامتار. غير ان بعض ارباب النقد ذهبوا في السنين الاخيرة، اي منذ نحو عشرة اعوام فقط، استناداً الى قول صموئيل، الى ان مدفن راحيل في الرامة المعروفة اليوم «بالرام» وهي قرية صغيرة حقيرة واقعة على ثمانية كيلومترات الى شمالي اورشليم، يسكنها اليوم نحو مئة نفس من المسلمين، وفي جوارها

قبور منقورة في الصخر تنطق بقدمها[1].

فهلمَّ الآن ايها القارئ نتتبع آراء العلماء الذين عُنوا بدرس هذه المسئلة ، ونستخلص زبدة اقوالهم ، ونورد براهين المتعصبين لبيت لحم والرامة ، وبعد ذلك نمحص بيّنات الفريقين قدر الامكان ، ونرى حجة ايهما تكون العليا.

## براهين المتعصبين لبيت لحم

ان الكتاب يصرّح بان : « راحيل ماتت ودُفنت في طريق افراتة ، التي هي بيت لحم.» (تك ٣٥ : ١٩) وان يعقوب لما دنا اجله قال لابنه يوسف وقد اتى يعوده في مرض موته: «واما انا ففي مجيئي من فدان ماتت عني راحيل في ارض كنعان ، في الطريق ، على نحو ميل من افراتة ... وهي بيت لحم . » (تك ٤٨ : ٧) ومما لا ريب فيه ان بيت لحم كانت في القديم تسمَّى افراتة ؛ كما ورد في سفر راعوت: «وهم افراتيون من بيت لحم يهوذا.» (راعوت ١ : ٢) وجاء ايضاً في سفر الملوك الاول : « وكان داود ابن ذلك الرجل الافراتي من بيت لحم يهوذا الذي اسمه يسّى.» (١ ملوك ١٧ : ١٢) وبهذا الاسم عينه سمَّاها ميخا النبي ، حين انبأ بولادة المخلص فيها : « وانت يا بيت لحم افراتة انك صغيرة في الوف يهوذا . » ( ميخا ٥ : ٢ ) فاذن افراتة هي بيت لحم بعينها . ولكن هل هي افراتة ، التي على مقربة منها دفنت راحيل ، ام يوسف وبنيامين ام غيرها ؟ هذا ما نريد ان نبيّنه بالايجاز في هذا المقال..

اعلم ايها القارئ ان التقليد اليهودي والمسيحي ما زالا متفقين على هذا الامر ، بل ان التقليد اليهودي حسب راي الاب لاگرانج لا يعرف افراتة اخرى غير افراتة بيت لحم[2]. ولكن القائلين بالراي المعارض يدّعون ان هذه العبارة « التي هي بيت لحم » الواردة في سفر التكوين حشو اضافه النسّاخ فيما بعد. بيد ان القديس متى في كلامه عن المذبحة التي سيبها في بيت لحم طمع هيرودس وحرصه على عرش الملك قال: « حينئذٍ تمَّ المقول بارميا النبي القائل صوت سمع بالرامة ، بكاء وعويل كثير . راحيل تبكي على بنيها وقد ابت ان تتعزّى

١) راجع معجم التوراة لڤيگورو: المجلد الخامس صفحة ٩٤١

٢) طالع كتابه في انجيل متى ٢ : ١٧ المطبوع في باريس سنة ١٩٢٣ ، صفحة ٢٥

لانهم ليسوا في الوجود.» (مت ٢: ١٧–١٨) فلماذا يا ترى استشهد الانجيلي بآية ارميا؟ لا ريب ان استشهاده بها لا يخلو من علاقة بين قتل الاطفال الشهداء وبكاء راحيل.

على ان شرّاح الكتاب من الكاثوليك كانوا على اتفاق على موضع مدفن راحيل، المعروف الى يومنا بهذا الاسم. ولكن لمّا شاع، منذ عشر سنين، راي يعارض الرأي الاول تمسك به بعضهم وعدلوا عن الاول. ومن جملة الاقوال التي تثبت زعم المتعصبين لبيت لحم ما رواه القديس ايرونيموس في رسالته الى استكيوم البتول: «ثم ان يولا قصدت الى بيت لحم، ووقفت، الى يمين الطريق، عند قبر راحيل[1].» وقوله الاخر: «ان كلمة افراتة وبيت لحم تطلق على مدينة واحدة، اذ انها تترجم بالخصبة وبيت الخبز[2].» وشرحه لآية متى: «ان بنيامين ولدته راحيل، وليس في هذا السبط قرية تسمى بيت لحم وهنا لا بد من السؤال: كيف تبكي راحيل اولاد يهوذا، اعني اولاد بيت لحم كما تبكي اولادها؟ اننا نجيب باختصار: لانها مدفونة قرب بيت لحم في افراتة.»[3] او لانّ سبط يهوذا وسبط بنيامين بقيا متحدين مؤلفين مملكة واحدة، بينما ان الاسباط الاخرى انفصلت وانشأت لها محكمة مستقلة. وزد على هذا ان الملك هيرودس لم يأمر بقتل اطفال بيت لحم وحدها، بل حكم هذا الجبّار القاسي القلب سيفه في اطفال التخوم: «فقتل كل صبيان بيت لحم وجميع تخومها.» (مت ٢: ١٦) فلا ريب اذن ان سيف الظالم اهلك جماعة من اولاد البنيامينيين ايضاً؛ وذلك لما كان بينهم وبين اخوانهم نسل يهوذا من تعاقب الدار وقرب الجوار.

ثم ان حاجّ بوردو قال: «لمّا ذهبنا من اورشليم الى بيت لحم (وجدنا) على مسافة اربعة اميال من جانب الطريق الايمن البناء حيث دُفنت راحيل امرأة يعقوب؛ وعلى مسافة ميلين من الجانب الايسر واقعة بيت لحم.»[4]

---

(١ P. L. *Migne, T. XXII, 884.* (٢ P. L. *Migne, T. XXII, 893.*

(٣ P. L. *T. XXVI, 27-28*

(٤ *Itinera Hierosolymitana saeculi IV-VIII.* P. Geyer, *p* 25

ويوافقه الراهب ادمنانس في كتابته التي وجهها الى الاسقف اركولف . والى هذا ذهب ايضاً القديس بيدا في الفصل السابع من كتابه المعنون « الاماكن المقدسة » . وفي القرن الثاني عشر كتب الادريسي : « واما بيت لحم وهو الموضع الذي وُلد فيه السيد المسيح ، فبينه وبين المقدس ستة اميال . وفي وسط الطريق قبر راحيل ام يوسف وام ابن يامين ولدي يعقوب ، وهو قبر عليه اثنا عشر حجراً ، وفوقه قبة مقودة بالصخر . »

اما القبة القائمة فوق القبر فقد ابتناها ، سنة ١٨٧٩ ، موسى مونتفيوره (Sir M. Montefiore) . وما عدا ما ذكرنا من الشواهد فان التقليد اليهودي والمسيحي والاسلامي ، كل هذه التقاليد لا تعرف غير هذا الموضع قبراً لراحيل واصحاب هذه التقاليد على اختلاف مذاهبهم ونحلهم يكرمون في هذا المكان عينه قبر زوجة يعقوب .[1]

## براهين المنكرين للرامة

ان البرهان الذي يستند اليه اصحاب هذا الرأي هو ما ورد في سفر الملوك الاول من قول صموئيل لشاول : « ويستقبلك رجلان عند قبر راحيل في تخم بنيامين . . . » ( ١ ملوك ١٠ : ٢ ) ويدعون برهانهم بقول ارميا النبي الذي جعله في فم راحيل لتبكي به بني افرائيم الذين سُبوا من اوطانهم : « صوت سُمع بالرامة ، ندب وبكاء مر . راحيل تبكي على بنيها وقد ابت ان تتعزى عن بنيها لانهم ليسوا في الوجود . » ( ارميا ٣١ : ١٥ ) على ان النبي ما اكتفى بما قال ، بل قفّى على قوله مخاطباً راحيل عينها : « كفي صوتك عن البكاء ، وعينيك عن الدموع ، فان لعملك اجراً يقول الرب ؛ وانهم سيرجعون من ارض العدو . » ( ارميا ٣١ : ١٦ ) ثم ان الكتاب يذكر ان يعقوب بعد دفنه راحيل زوجته واقامته النصب على قبرها : « رحل وضرب خباءه وراء برج القطيع . » ( تك ٣٥ : ٢١ ) فاذا قابلنا بهذه الآية ما جاء في نبوءة ميخا علمنا ان برج القطيع كان على مقربة من اورشليم . قال النبي : « وانت يا برج القطيع ، يا عوفل بنت صهيون ، اليك يأتي ويعود الحكم الاول ملك بنت اورشليم . »

١) راجع معجم التوراة لليكورو ، المجلد الخامس ، صفحة ٩١٦–٩٢٧

(ميخا ٤ : ٨ ) فمن هذا الكلام يستنتج ان يعقوب خلّف وراءه قبر زوجته وهو آتٍ من الشمال ، ومشجه الى الجنوب . فاذن راحيل ماتت قبل الوصول الى برج القطيع ، الذي كان في جوار اورشليم . ولهذا السبب استنتج الاب دورم ( Dhorme ) ان قبر راحيل شمالي اورشليم ، في ارض بنيامين ، وان التقليد الذي يجعله في ارض يهوذا على مقربة من بيت لحم ليس على شيء من الصحة . وقد شايعه على رأيه الاب لاگرانج والاب دوران (Durand) والاب كندامان ( Condamin ) و ( H. A. Poels ) والاب ارباخ البندكتي

## تمحيص براهين اصحاب الراي الاول

رأينا في اثناء كلامنا ان اصحاب الراي الاول يدعمون برهانهم بما ورد في الكتاب ( تك ٣٥ : ١٩ — ٢٠ و ٤٨ : ٧ ) . غير ان خصومهم يردون عليهم حجتهم بقولهم ان العبارة المذكورة في سفر التكوين بعد كلمة افراتة « التي هي بيت لحم » حشو وقد زيدت فيما بعد . ولكن من يا ترى يستطيع اقامة الدليل على انها حشو ، ولاسيما انها موجودة في كتب السامريين ، والنسخة السبعينية ، وترجوم اونكلس ، والنسخة السريانية البسيطة ܦܫܝܛܬܐ ، والنسخة العامية ( *Vulgata* ) ، فكيف دخلت هذه الزيادة ، على غير تواطؤ ، في هذه النسخ ؟ جواب اصحاب الرأي المناقض انها دخلت قبل الترجمة السبعينية . ولكن كيف دخلت في هذه النسخ ولم يدلّ عليها دليل في الاصل ، بل ماذا اراد الناسخ من زيادتها عمدًا مع علمه بما ورد في سفر الملوك وسفر ارميا ؟ ولماذا زادها في سفر التكوين فقط ، وكيف قبل اليهود في ذلك الزمان هذه الزيادة ، مع شدّة محافظتهم على سلامة الكتاب ولم يسقطوها فيما بعد ؟ أما ان اليهود والمسيحيين يعتقدون سلامة الكتاب من التحريف والتصحيف ؟

اما قول متى الرسول انه بعد ذبح اولاد بيت لحم ، تمّت نبوّة ارميا ، فدليل على وجود علاقة بين تلك المذبحة وبكاء راحيل . فهذه العلاقة على ما يظهر هي شيئان : اما وجود قبر راحيل على مقربة من بيت لحم ، واما كون الاطفال المذبوحين اولادها . الّا ان اصحاب الرأي المناقض لا يرون علاقة بين كلام الانجيلي ومذبحة بيت لحم ، ويعرضون عن تفسير الآية وشرحها . ثم

ان الاب كندامان ذهب الى ان السبب الذي حمل القديس متى على تطبيق هذه الآية ما هو الا شيوع التقليد المبني على آية سفر التكوين ( ٣٥ : ١٩ ) واعتقاد عامة اليهود في ذلك الزمان وجود قبر راحيل على مقربة من بيت لحم. فمن هذا القول ينتج ان ذلك التقليد كان غير صحيح . وفي هذا مجس لقدر الكتاب الشريف.

غير ان الاب لاگرانج ، تجنباً لهذه النتيجة ، اكتفى بتعليل ما ورد في متى بنسبته الى «تشابه الحزن» وقفى على قوله بان لا حاجة الى القول ، مع كندامان ، ان الداعي لذكر الآية التقليد الذي كان يجعل قبر راحيل قرب بيت لحم[1] . فهل «تشابه الحزن» يا ترى سبب كاف لحمل الرسول على ذكر الآية : « حينئذٍ تمّ المقول بارميا النبي ...» اما كان في وسعه ان يقول : وحينئذٍ تمت النبوات التي فيها ذكر البكاء والحزن ؟ فاذن قول الخصوم يدل على ان كلام الانجيلي مبني على تقليد موهوم لا اساس له ، ولا علاقة بينه وبين قتل الاطفال الشهداء.

ثم انه فضلاً عن ذلك ليس حول الرامة اي « الرام » من اثر دالّ على قبر راحيل ، ولم يكتشف الى يومنا ما يزيل الغموض عن هذه المسئلة ؛ بل ليس للخصوم سند سوى الآية الواردة في سفر الملوك ، وتعيين موقع «برج القطيع». فطالما اعتقد شراح الكتاب دائماً وجود قبر راحيل عند بيت لحم ، فاية حاجة الى ترك التقليد الشائع ، والتمسك براي لا يعضده برهان متين ، وتؤيده بيّنات ناهضة ؟ على اننا اذا رجعنا الى تقاليد اليهود ، رأينا انهم لم يعرفوا افراتة سوى افراتة بيت لحم كما قال الاب لاگرانج نفسه ، وانهم اعتقدوا دائماً قبر راحيل على مقربة من بيت لحم ، في الموضع المعروف بهذا الاسم الى يومنا الحاضر. بقي ان اصحاب الراي الثاني ، الذين عدلوا عن هذا الراي الى الراي الجديد ، مضطرون لتصحيح دعواهم ان يبينوا غلط اليهود في هذا الامر ، ويثبتوا زعمهم بان «التي هي بيت لحم» حشر ، بل هم مضطرون الى اثبات رأيهم بالادلة الراضحة قبل زمان الترجمة السبعينية . على انهم يدعون ان التقليد

١) طالع كتابه «في متى» ١٧ : ٢ المطبوع في باريس سنة ١٩٢٣ ، صفحة ٣٥

على عهد ارميـاء. كان شائعاً بان الرامة مدفن راحيل ؛ ولكن كيف انقرض وتلاشى واضحى هذا التقليد ، ومتى حلَّ محله التقليد غير الصحيح ؟ يجيبون ان النبي هو الذي امات الاول واحيا الثاني. وهنا يقوم اعتراض آخر على هذا القول وهو: لو كان تقليد الرامة صحيحاً لما نسيه اليهود في مدة جيلين ، لان في الرامة عينها اجتمع اليهود ، ومن الرامة سيقوا الى الجلاء ، كما جاء في سفر ارميا: «الكلمة التي كانت الى ارميا من لدن الرب بعد ان اطلقه نبوزرادان رئيس الشرطة من الرامة ، اذ كان اخذه مكبلاً بالقيود ، بين جميـع جلاء اورشليم ويهوذا الذين أجلوا الى بابل» (ارميـا. ٤٠: ١) فلو كان لبكاء راحيل على اولادها الذين أجلوا علاقة مع قبرها ، لما نسي اليهود قبر امهم بعد رجوعهم من بابل. فاذا احتجوا بان الرامة اصبحت بعد الجلاء مجهولة ، اجبنا: ان قرب هذه البلدة من اورشليم ، ووقوعها على مسافة ثمانية كيلومترات من المدينة المقدسة ، وقيامها على طريق بيت ايل وشيلو والسامرة لما يقف في وجه نسيانها . فاذن بكاء راحيل على بنيها لا يدلّ على ان قبرها في الرامة.

## تمحيص براهين اصحاب الرأي الثاني

برهان المتمسكين بهذا الرأي ما ورد في سفر الملوك الاول (١٠ : ٢) من ان قبر راحيل في تخم بنيامين. فاذا امعن القاري نظرهُ في قول صموئيل لشاول وتدبّره ملياً ، رأى وفهم ان النبي لا يقول ان قبر راحيل في ارض بنيامين بل في تخم بنيامين. فلو كان قبرها في الرامة لما جاز لصموئيل ان يقول انه في تخم بنيامين ، بل كان يجب عليـه ان يقول انه في ارض بنيامين ؛ لان حدود بنيامين كانت تمتدّ الى جنوبي اورشليم ، كما جاء في سفر يشوع: «ويصعد التخم الى وادي ابن هنوم[1] ، الى جانب يبوس جنوباً وهي اورشليم ، ويصعد الى راس الجبل الذي هو تجاه وادي ابن هنوم غرباً في طرف وادي الجبابرة شمالاً.»

١) وادي ابن هنوم كان معظم حدًّا بين سبط يهوذا وبنيامين. وهو يبتدئ عند بركة ماملا ، ويهبط الى بركة الساطان ، وينحدر جنوباً في شرق ، ويمتد بجبل صهيون حتى يتصل بوادي قدرون. ولا يعرف من هو ابن هنوم الذي تسمَّى باسمه هذا الوادي . لهذا كنعاني اذ ان اسم الوادي ورد في سفر يشوع . وكان اليهود يقرّبون فيه القرابين البشرية اكراماً لمولك. (راجع ٢ اخبار الايام ٢٨: ٣ وارميا. ٢: ٢ و٧: ٣١ و٣٢: ٣٥ و١٩: ٢ و٦)

(يشوع ١٥: ٨) هذا حدّ يهوذا من الشمال. اما حدّ بنيامين الجنوبي فهو: «ثم يهبط الى طرف الجبل الذي تجاه وادي ابن هنوم الذي في وادي الجبابرة شمالاً وينحدر في وادي هنوم الى جانب يبوس جنوباً، ثم يهبط الى عين روجل.»[1] (يشوع ١٨: ١٦) فاذن اورشليم كانت في سبط بنيامين وبيت لحم في يهوذا، ومدفن راحيل بين المدينتين؛ وكذلك جاز لصموئيل ان يقول انه في تخم بنيامين فهذا القول يعضد الرأي الاول.

ثم ان كلام ارميا. (٣١: ١٥) لا يجدي اصحاب هذا الراي نفعاً، لانه لا يصرّح بوجود قبر راحيل في الرامة بل يقول: «صوتٌ سُمع بالرامة، ندب وبكاء مرّ؛ راحيل تبكي على بنيها.» فاذا تدبّرنا هذا القول ظهر لنا ان قبر راحيل ليس في بيت لحم، ولا في الرامة، بل في موضع بين المكانين. اذ النبي يقول: «صوتٌ سمع في الرامة» فكأن صوت ذلك البكاء والندب الصاعدين من قبر راحيل قد بلغ الرامة، موضع اجتماع اليهود قبل جلائهم. فهذا التعبير ضرب بديع من تصوّر الخيال، ولاسيما ان مدفن راحيل، وموضع ذلك الاجتماع، متلاصقان لا يفصل بينهما سوى خمسة عشر كيلومترًا. اما ان الخيال يقرب البعيد ويبعد القريب؟

ولكن ما السبب الذي حدا بارميا. الى الجمع بين الرامة وبكاء راحيل؟ السبب على الارجح اجتماع اليهود في ذلك المكان من حيث سيقوا الى الجلاء، فغادروا اوطانهم وبرحوا بلادهم؛ فكأنّ هذا العمل اثار عواطف راحيل واستدرّ دمع عينيها رأفة بحماب بنيها. فقول النبي لا يدلّ على انها مدفونة هنالك. على انه قد كان ايضاً بين المجلوّين اولاد بنيامين «ابناء الالم» الذي ولدتهم راحيل بالالم وسيروا هلاكها. فلما رأت ان هولاء الاولاد، اولاد الالم، مسوقون الى الجلاء كقطعان الغنم، علا نحيبها واشتدّ بكاؤها، فرنّ صداه في الرامة. فاذن سبب بكاء راحيل سبي اولادها لا وجود قبرها، اذ لا علاقة

---

١) كان القدماء يظنون عين روجل بير ايوب، ولكن المتأخرين يذهبون الى انها عين ام الدرج الواقعة في اسفل جبل صهيون من الشرق، ويسمي الافرنج هذه العين عين العذراء. (راجع معجم التوراة لبيكورو المجلد الخامس، صفحة ١١٠٨)

بين البكاء والقبر.

اما ما ورد في ميخا من ذكر برج القطيع فنقول : ان برج القطيع ورد لاول مرّة في سفر التكوين ( ٣٥ : ٢١ ) ويُراد به على الرأي الارجح برج صغير كان في جوار بيت لحم ، يأوي اليه الرعاة ويراقبون من فوقه قطعانهم في مسارحها . ومن اسمه تعرف غايته . وقد كانت عادة الرعاة في ذلك العصر ان يتخذوا لهم ابراجاً في البرية ، كما يشهد بذلك سفر اخبار الايام الثاني ؛ اذ ان عزيّا الملك : «بنى ابراجاً في البرية ، وحفر ابارًا كثيرة ، اذ كانت له ماشية كثيرة في الساحل والسهل...» (٢٦ : ١٠) هذا وان القديس ايرونيموس يجعل برج القطيع على مسافة الف خطوة الى مشارق بيت لحم: «بيت لحم حيث يرى قبر يسّى وداود ، وعلى مسافة الف خطوة برج عادر الذي تاويله برج القطيع[1].» ومن الصعب تعيين موقعه بالضبط. ثم ان برج القطيع الوارد ذكره في نبوّة ميخا يُراد به اورشليم من باب المجاز[2] ، فضلًا عن ان الآية مستغلقة حتى ان الاب لاگرانج وكندامان لا يستندان اليها ولا يتخذانها برهاناً لدعم قولهما . « فبرج القطيع» هذا اما اسم علم ، واما اسم جنس مجازي . على ان الآية تدل صريحاً ان برج القطيع هو عين اورشليم وهو علم ، ولكن اسم الجنس لا يعيّن موقعه. فهل يحسن والحالة هذه اتخاذ هذه الآية كبرهان على صحة راي المتعصبين للرامة ؟ وما زال في حقل الرعاة شرقي بيت لحم آثار برج قديم ، فلعله مجدل عادر او برج القطيع ، طبقاً لما جاء في كلام القديس ايرونيموس اذ قال : « وعلى مقربة من هناك نزلت (بولا) الى برج عادر اعني برج القطيع حيث رعى يعقوب قطعانه ، واستحق الرعاة الساهرون في الليل ان يسمعوا: المجد لله.»[3]

فمن هذا كله يستدلّ على ان البراهين المؤيدة وجود قبر راحيل الى جانب بيت لحم اقوى. والمرء مخيّر في اتباع الراي الذي يرى رجحان براهينه . ولعلّ اعمال الحفر والاكتشافات تجلو غامض هذا السرّ وتحسر عنه اللثام ، وكل آتٍ قريب.

(١ P. L. *T. XXIII, p. 879*

(٢ *Cf.* S. Jerôme, *Quaest. in Gen. loc cit.*

(٣ P. L. *T. XXII, 885-886.*